# بر الوالدين

أيها الأخوة المؤمنون

أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى وقوموا بما أوجب الله عليكم من حقه وحقوق عباده.

ألا وأن أعظم حقوق العباد عليكم حق الوالدين، وحق الأقارب، فقد جعل الله ذلك في المرتبة التي تلي حق الله المتضمن لحقه وحق رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى ﴾[النساء:36]. وقال تعالى: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه ﴾[العنكبوت:8].

وبين العلة في ذلك إغراء للأولاد وحثا لهم على الاعتناء بهذه الوصية فقال: ﴿حملته أمه وهناً على وهن ﴾[لقمان:14]. أي ضعفا على ضعف، ومشقة على مشقة، في الحمل وعند الولادة ثم في حضنه في حجرتها وإرضاعه قبل انفصاله فقال تعالى: ﴿ وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير ﴾. أمر الله عز وجل بعبادته وتوحيده وجعل بر الوالدين مقرونا بذلك فقال عز وجل: ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾، كما قرن شكرهما بشكره فقال عز وجل: ﴿أن اشكر لي ولوالديك ﴾[لقمان:14].

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي ﷺأي العمل أحب إلى الله عز وجل قال: ((الصلاة على وقتها)) قات: ثم أي؟ قال: ((ثم بر الوالدين)) قلت: ثم أي؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله))

والبر اسم جامع للخير، وهو ضد العقوق، ومعناه الصلة وفعل الخير والتوسع فيه واللطف والطاعة.

وقوله تعالى: ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ﴾خص حالة الكبر لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بر الولد، لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر، فألزم في هذه الحالة بين مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل، لأنهما في هذه الحالة قد صارا كلاً عليه، يحتاجان أن يلي منهما في الكبر، ما كان يحتاج في صغره أن يليا منه، فلذلك خص هذه الحالة بالذكر، وكذلك طول المكث للمرء يوجب الاستثقال للمرء عادة، ويحصل الملل، ويكثر الضجر، فيظهر غضبه على أبويه، وتنتفخ لهما أوداجه، وأقل المكروه ما يظهره بتنفسه المتردد من الضجر، وقد أمر أن يقابلهما بالقول

الموصوف بالكرامة، وهو السالم من كل عيب، فقال: ﴿فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً﴾ [الإسراء:23].

قال العلماء: إنما صارت قولة (أف) للأبوين أردأ شيء، لأنها كلمة تقال لكل شيء مرفوض، كما قال إبراهيم لقومه: ﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله ﴾[الأنبياء:67].

فهي للأبوين كفرٌ للنعمة، وجحد للتربية، ورد للوصية التي أوصى الله بها في التنزيل، وقوله: ﴿ولا تنهرهما ﴾والنهر هو الزجر والغلظة، وقوله: ﴿وقل لهما قولاً كريماً ﴾ أي لينا لطيفا، مثل: يا أبتاه ويا أماه من غير أن يسميهما ويكنيهما.

قال ابن الهداج التجيبي: قلت لسعيد بن المسيب كل ما في القرآن من بر الوالدين قد عرفته إلا قوله: ﴿وقل لهما قولاً كريماً ﴾ما هذا القول الكريم؟ قال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ.

وقوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾أمر بمزيد من الشفقة والرحمة، وأن يكون الإنسان مع أبويه في خير ذلة في أقواله وسكناته ونظراته، ثم قال عز وجل: ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾أمر الله عز وجل عباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم، فينبغي على العبد أن يرحمهما كما رحماه، وأن يرفق بهما كما رفقا به، إذ ولياه صغيرا جاهلا محتاجا فآثراه على أنفسهما، فسهرا وأناماه، وجاعا وأشبعاه، وتعريا وكسواه، فلا يجزيهما إلا أن يبلغا من الكبر الحد الذي كانهما فيه صغيران فيلي منهما ما وليا منه، ويكون لهما حينئذ فضل التقدم.

قال في تنبيه الغافلين: إنه لو لم يذكر الله تعالى في كتابه حرمة الوالدين، ولم يوص بهما، لكان يعرف بالعقل أن حرمتهما واجبة، وكان الواجب على العاقل أن يعرف حرمتهما، ويقضي حقهما، فكيف وقد ذكره الله تعالى في جميع كتبه: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وقد أمر في جميع كتبه وأوحى إلى جميع رسله، وأوصاهم بحرمة الوالدين ومعرفة حقهما، وجعل رضاه في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما.

وقال تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير ۞وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [لقمان:14].

لما خص الله تعالى الأم بالحمل والوضع والرضاع، خصها بمزيد الوصية بالبر، وهذا يوافق ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة ﷺقال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺفقال:

((يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك)).

قال عياض: ذهب الجمهور إلى أن الأم تفضل في البر على الأب، وقيل: يكون برهما سواء، ونقله بعضهم عن مالك فروى أن رجلا قال له: إن أبي ببلد السودان، وكتب إلي أن أقدم عليه، وأمي تمنعني من ذلك، فقال له: أطع أباك ولا تعص أمك.

وقد سئل الليث عن هذه المسألة، فأمره بطاعة الأم، وزعم أن لها ثلثي البر، وهذا يشير إلى الطريق التي لم يتكرر بر الأم فيها إلا مرتين، وقد أخرج البخاري في الأدب المفرد: ((إن الله يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بآبائكم ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب)).

قال ابن حجر: وجاء ما يدل على تقديم الأم في البر مطلقا، وهو ما أخرجه أحمد والنسائي وصححه الحاكم والبزار بإسناد حسن من حديث عائشة قالت: سألت النبي ﷺ : ((أي الناس أعظم حقا على المرأة؟ قال: زوجها، قلت: فعلى الرجل؟ قال: أمه)).

ولقد جعل النبي ﷺبر الوالدين مقدما على الجهاد في سبيل الله. ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهقال: سألت النبي ﷺأي العمل أحب إلى الله تعالى قال: ((الصلاة على وقتها قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله)).

وفي صحيح مسلم: ((أن رجلا أتى النبي ﷺفقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله، قال: فهل من والديك أحد حي قال: نعم بل كلاهما. قال: فتبتغي الأجر من الله؟ قال: نعم. قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما)).

وفي حديث إسناده جيد أن رجلا قال يا رسول الله إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه قال: ((هل بقي من والديك أحد؟ قال: نعم أمي. قال: قابل الله في برها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج معتمر ومجاهد)).

وقد أوصى الله تعالى بصحبة المعروف للوالدين في الدنيا وإن كانا كافرين بل وإن كان يأمران ولدهما المسلم أن يكفر بالله، لكن لا يطيعهما في الكفر فقال تعالى: ﴿وإن جاهداك﴾(أي بذلا جهدهما) ﴿على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ﴾[لقمان:15].

وفي الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قدمت علي أمي وهي مشركة وكان أبو بكر قد طلقها في الجاهلية فقدمت على ابنتها أسماء في المدينة بعد صلح الحديبية قالت أسماء: ((فاستفتيت رسول الله ﷺفقلت يا رسول الله قَدِمَتْ عليّ أمي وهي راغبة أي راغبة في أن تصلها ابنتها أسماء بشيء. أفأصل أمي يا رسول الله؟ قال: نعم صِلِي أمك)).

أيها المسلمون: إن بر الوالدين يكون ببذل المعروف والإحسان إليهما بالقول والفعل والمال.عباد الله بروا أباءكم تبركم أبناؤكم و اعلموا أن سخط الله في سخط الوالدين وأن رضاءه لا يكون إلا إذا رضي عنكم أباءوكم ولا شيئ يزيد في العمر ويبارك في الرزق مثل بر الوالدين و صلة الرحم و عند الله أجالكم وأسماءكم وقد أمرتم بما أمرت به أنبياءكم وما من نبي إلا وقد أمر ببر والديه كما جاء ذلك في محكم الآيات قال الله عز وجل {يايحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا و حنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا, و برا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا" و عن لسان عيسى عليه السلام قال الله تعالى " وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا" وقال ابراهيم لأبيه "سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا" وقال نوح " رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات"

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم و لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم